نحو الحاجة لدراسة الأديان

علم الكلام الجديد والتأسيس – عبد الجبار الرفاعي أنموذجا"

صافية مناد: باحثة دكتوراه جامعة محمد بن احمد وهران2، [1]

تحت اشراف،أ.د.عمر الزاوي/ أستاذ جامعة محمد بن احمد وهران2

ملخص البحث:

الحاجة لدراسة الأديان و مقارنتها، في المنابر الفكرية المعرفية من كليات الدراسات الدينية والجامعات والمؤتمرات والجمعيات المجتمعية والحوزات العلمية، ما جعل من كل المفكرين يهتموا بالتعايش الديني الانساني وقبول الآخر عن طريق تأسيس لحوار الأديان على أرضية معرفية تاريخية، فحوار الأديان ليس وليد العصر إنما له خلفية تاريخية كعلم الكلام تماما، يعتبر حوار الأديان نتيجة أزمات التدين وتفاقم أشكال اللاإنسانية المنسوبة للدين ،فلم تعد تبرئة الدين مفيدة ،فالمفيد هو القدرة على الاعتراف الصريح لنمط تدين متشدد يشفي منابعه من التراث الديني، وتغذيه كل من الاتجاهات الإعلامية والسياسية لتوظيفه في غايات متعددة غير بريئة.

فالدين يؤثر في المجتمعات كما تؤثر هي به، هنا يطرح الموقف الأخلاقي من التدين ومقارنته بالأديان جميعا .فالدين كما يوصفه عبد الجبار الرفاعي ،كائن حي ينمو ويتطور ويمرض وربما يصاب بسرطان مميت ،فرب ديانة منفتحة انغلقت، ورب ديانة منغلقة انفتحت، يجب الانتقال في الدراسات الدينية من الرؤية التقليدية التي كانت ترى الدين ونصوصه المقدسة مرجعيته النهائية في تغيير وفهم كل شيء الى رؤية تخضع تعبيرات الدين وتجلياته الحية للفهم والتفسير بوصفها تمثلات بشرية.

الكلمات المفتاحية: النص، علم الكلام الجديد، التعايش الديني، حوار الاديان، الأنسنة، الرفاعي.

:Abstract

To study religions and compare them, in the cognitive intellectual platforms of the faculties of religious studies, universities, conferences, community associations and scientific seminaries, which made all intellectuals interested in human religious coexistence and accepting the other by establishing dialogue of religions on the basis of historical knowledge. Historically, as a science of speech, interfaith dialogue is the result of religious crises and the exacerbation of the forms of inhumanity attributed to religion.

Keywords: Text, New Theology, Religious Coexistence, Religions dialogue, Humanity, Abd- ALJabbar ALRifai

مقدمة :

يؤكد الرفاعي على المناهج العلمية لدراسة الاديان والتعاطي مع نصوصها المقدسة وتراثها الديني بمنطق الباحث لفهم معنى العميق للنصوص، فالحوار الديني أحد اهم موضوعات التي ضمها المشروع التجديدي لعلم الكلام فاقترن البحث

[1] عضوة في مختبر الابعاد القيمية للتحولات والفكرية السياسية بالجزائر ،جامعة وهران2.

فيه باسم الهندسة المعرفية لعلم الكلام الجديد وهي علاقة علم الكلام الجديد بالأديان ودراستها ومقاربتها منهجيا ومعرفيا، فتحديد علاقة الدين بجميع العلوم العلمية، وتثمين الجهود التاريخية في دراسة وتجديد اهم المسائل المتعلقة بحوار الديني و(التعددية الدينية) عقائديا، هو ما يؤسس للتعايش الانساني والتسامح الديني والطائفي الذي يحرر الانسانية من التعصب والعنف ،وهي ما اسماها بالإنسانية الايمانية او الايمانية الانسانية والتي يقصد بها الايمان المحرر لـ لإله الروحي الاخلاقي في قلب الانسان .

فالمعتقد يرسم جغرافيا الاديان وتاريخها بتمكين التفكير في حدودها العملية والمعرفية سواء العلمية او اليومية فيرتبط بذلك المعتقد باليومي .لهدا نطرح التساؤلات حول مدى ارتباط الحوار الديني بالتعايش السلمي عقائديا؟وكيف يمكننا قراءة العقائد من منظور انساني؟وهل يمكن فهم النصوص في دائرة العقلانية الايمانية؟ كيف نظر الرفاعي لمصطلح الانسانية الإيمانية؟ ومامدى علاقة علم الكلام الجديد بالحوار الديني؟هل التعايش الديني يحتاج للتأسيس العقائدي ضمن الفهم للنصوص المقدسة او خارجها؟ كل هاته التساؤلات الحداثية التجديدية التي انبثقت عن مشاريع التجديد وقراءات الحداثية للعقائد وللنصوص باختلاف تأسيساتها وافكارها وتوجهاتها وايديولوجياتها تبقى مشاريع رائدة في الفكر العربي الاسلامي المعاصر لهذا سوف ينبني البحث على عناصر مهمة اليوم في التفكير الحداثي اتجاه العقيدة والايمان.

ا/في الحاجة لدراسة الأديان:

إنطلاقا، من الحديث عن الحاجة لدراسة الأديان بإختلاف عقائدها وطوائفها ومللها ونحلها، نجد العالم الاسلامي يجبر الفكر على الخوض في عملية التفكير في كيفية التعايش والتسامح مع إختلاف العقائد، و إمكانية دراستها ومعرفتها،هنا تكون الاديان متقاربة عقائديا من حيث انها مقدسة وأساسها التوحيد في الأصل قبل التحريف ،لماذا الدين هو سلم الكمال لا غيره ؟،هكذا أبدى المفكر العراقي عبد الجبار الرفاعي[1] ،اهتمامه بدراسة الدين وما أعلن عنه ضمن الضمأ الأنطولوجي او الوجودي التي أكد على أنها حقيقة إتفق عليها ويتفق الكثير من الفلاسفة والمتصوفة وحتى العرفاء[2] ،فبـ الدين يرتوي ذلك الظمأ،"لا أشك أن كل ذلك وغيره مما يعزز كينونة الكائن البشري ويثري وجوده، ويمنحه السكينة والسعادة.لكن ذلك كله أيضا لا يغني عن الحاجة للدين،و لا يكون بديلا عن الدين، وإن قدم له شيئا مما يهبه الدين"[3]. يربط وجودية الانسان بالموت على انه الحقيقة الوجودية الوحيدة الصادقة وهنا تكون علاقة استلزامية بحيث يذكر "مادام هناك موت هناك دين فالدين هو الجواب الوحيد لتحدي الموت، فالموت هو نهاية الحياة الدنيا"[4]،فالدين يقدم معرفيا تفسير تبريري لتأبيد الحياة عن طريق الاسئلة ميتافيزيقة مثل أسئلة الخلود والمصير وغيرها .

دراسة الأديان معرفيا وعن أطر ممنهجة تفسيريا تسمح بتعدد التأويلات وإعادتها فحاجة المعرفة لا تكف عن ملاحقة التفسيرات والتأويلات اللامتناهية ، مع اختلاف الدراسات وتصارعها فكريا وأيديولوجيا وهو ما وضع الدين في مأزق تاريخي كما ذكر الرفاعي على أنه تم ترحيله من مجاله الانطولوجي الى المجال الايديولوجي هذا من جهة ومن جهة أخرى ازدراء بعض النخب للدين و إحتقارهم للتدين ،اثر الفهم الساذج المبتذل لحقيقة الدين في فهمهم ،والصدور في

[1]_عبد الجبار الرفاعي، مفكر عراقي (1945) تخصص فلسفة اسلامية .

[2]_عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،ط1،2016،ص05

[3]_المصدر نفسه،ص06

[4]_المصدر نفسه، ص ص 6_7.

أحكامهم عن نمط التدين الايديولوجي الشائع ،"فالدراسات العربية التي اهتمت بالدين كدراسة معرفية في بعده الانطولوجي شحيحة أو نادرة على غرار ما ينشر من نصوص التدين" [1]،وهذا السبب الأساسي الذي جعل الدراسات الدينية على مستوى الفكر المعرفي في غياب تام وهو ما يكشف حقيقة الحاجة للأخذ الجاد والاهتمام المعرفي بالدين للكشف عن حضوره الحقيقي في كيان الانسان، وحاجته الوجودية[2] للمقدس، ورفع التزييف والابتعاد عن الصورة النمطية للتدين القروسطي المهيمن عليه النفوذ وسلطة المال والقوة السياسية ،هنا يجب على المفكر ان يكون محايدا ويتصف بالموضوعية، وآليته العقل لا تكريس المعتقدات الدينية ولا نفيها، ولا يتوقف عند المشروعية وغيرها لا بمسلمات اعتقاديه ولا بالأدلة العقلية والنقلية ،فيكون مجاله معرفي أنطولوجي لا غير .فهو يتحرى الحقيقة ولا غير الحقيقة، فمهمة الدين معرفيا تعد الكشف عن الحقيقي والزائف منها ،وتبيان حقيقة التجارب الدينية،وسياقاتها حيث يتم معرفة المقدس على انه كل شيء متعال او هو ما يحن و ينجذب اليه الانسان ،هنا يرتبط بمعرفة الرموز وتعبيرات الغير المكشوفة فيه، فتطرح ثنائية التقابل بين المقدس والمدنس والعلاقة بينهما في الفضاء الدنيوي.

يعد الدين حاجة معرفية انطولوجية ذو بعدا قيميا يتجاوز الوجود البشري عينه، لأنه مقدس والمقدس نفسه يخضع لفهم الإنسان ونظرياته وبهذا "تتعدد تمثلاته وفقا لثقافته، في دراسة الدين بشكل عام مفتوح وغير متناهي الأبعاد، تتشكل الإختلافات الحاجة إليه من خلال أنثروبولوجيا الدين و سوسيولوجيا الدين وحتى علم نفس الدين والهرمينوطيقا فكل هاته المجالات الفكرية ترتبط بفكرة المقدس وبالبنى العميقة الموجودة في حياة البشر، حيث تكمن في الوعي واللاوعي البشري"[3] ،ويذكر عبد الجبار الرفاعي وظيفة الدين "انها انتاج المعنى والدين يضيء ما هو مظلم في حياتنا، ويكشف عن الجمال في الاشياء ،بل انه لا يقتصر على كشف جمال الاشياء، بل قد يستطيع المتدين من رؤيتها شفيفة رقيقة، متناسقة مع عناصر الكون ونظامه"[4]،يؤكد على نمطية الدين في انتاج المعاني على انه يخلع معنى، فدراسة الأديان تتعاطى مع نصوصا المقدسة؛ من حيث اعتمادها على المناهج البحث العلمي؛ فدراسة اليهودية تصح بالعودة الى التوارة والتلمود ودراسة المسيحية تصح بالعودة الى كتاب المقدس "العهدي القديم والجديد" ومقررات المجامع المسكونية، ودراسة الاسلام تصح بالعودة الى القرآن وماهو ثابت من الحديث"[5].

ب/آليات دراسة الأديان من منظور الرفاعي:

تعد آليات دراسة الاديان من منظور عبد الجبار الرفاعي ضمن تطبيق المناهج العلمية [6]،في دراسة كل الاديان وفرقها ومذاهبها فهي دائما تولد نواتها الجنينية في عصر مؤسسيها تعتبر السلطة الروحية التي تنتج معرفتها وهذا نسيج العلاقة بالمعرفة والسلطة السياسية؛في البدء التفكير الفلسفي كانت الالهيات ضمن الفلسفة بصنفيها النظري تحت مسمى الحكمة النظرية والعملي تحت مسمى الحكمة العملية واندرج التفكير في الالهيات ضمن الحكمة النظرية سمي

[1]_المصدر نفسه،ص10

[2]_ المصدر نفسه ،ص11

[3]_ عبد الجبار الرفاعي ، انقاذ النزعة الانسانية في الدين، مركز دراسات فلسفة الدين ،ط2،بغداد2013،ص23

[4]_المصدر نفسه 25

[5]عبد الجبار الرفاعي ، مقال بعنوان الحاجة لتدريس مقارنة الاديان، مؤسسة المثقف العربي ،العدد 4116/،12،12،2017

[6]_ المصدر نفسه.

بالعلم الالهي او العلم الاعلى او العلم الكلي أو الميتافيزيقا (ماوراء الطبيعة)وكذلك بالفلسفة الاولى على غرار الرياضيات التي سميت بالفلسفة الوسطى لأنها تقع في مرتبة متوسطة بين الالهيات والطبيعيات، فدرست الالهيات بالمعنى الاعم الوجود المطلق .

حيث يصوغ الرفاعي المنهج الانساني للنظرية التجديد، بمعنى تلخيص النزعة الانسانية في الدين وهو يشكل منهجا خامسا في سلسلة مناهج التجديد التي اخذها عن منهج الافغاني الذي يقوم على العقل والعلم، والمنهج الثاني لمحمد اقبال ومالك بن نبي وهو تأسيس الفلسفي للتجديد والثالث الذي اهتم بالتأسيس المنهجي لسيد محمد باقر الصدر ،والرابع لحسن حنفي والذي يسميه بتيار الاجتماعي السياسي، فالأهم في دراسة الاديان عدم نقد أي معتقدات او الرد على مقولاتها المركزية بل التعرف عليها من كتبها المقدسة والكشف عما هو روحاني فيها،فتوصف الاديان الابراهيمية على ان لها نواة واحدة لأنها تؤمن معا بالله،وتتوحد في رسالة كونية مشتركة،وتقوم على قيم اخلاقية انسانية كلية.

انطلاقا من دراسة النص الديني والمجال المعرفي للإلهيات،استخدمت مناهج البحث العقلية في الدفاع عن الالهيات بالمعنى الاخص والبرهنة عليها "وكذلك بالنسبة لفلاسفة الاسلام من الكندي الى صدر الدين الشيرازي بما يتصل بالمباحث النبوات الوحي . تؤهل دراسة الاديان ومقارنتها ببيان مكانة كل دين والأثر والتأثير المتبادل بينه وبين الاديان الاخرى المنتمية للجغرافيا الروحية ذاتها ،واكتشاف ديناميكية حضوره في حياة الشعوب المنتمية إليه[1]من يعرف دينا واحدا لا يعرف اي دين"كما قال الشاعر غوته من قبل " من يعرف لغة واحدة لا يعرف اي لغة".

أمّا بالنسبة للفلاسفة القرن العشرين ،اهتموا بالتأويلات وبإنفتاح العلوم الانسانية على دراسة الظواهر الدينية وتحليلها لغويا وهرمينوطيقيا وفنيا وانثروبولوجيا واجتماعيا ،والتوسع بها نحوا دراسة مقارنه الاديان بمعرفة المشترك منها من الجوهر والغاية التي تشدوا نحوها،وحتى معرفة العلاقة بـ المقدس والميثولوجيا في حياة المجتمعات البشرية،فالمجال المعرفي لدراسة الأديان أخذ حيزا كبيرا من المجال المعرفي والفكري عند الفلاسفة القدماء والمعاصرين ،فظهور مصطلح فلسفة الدين كان في نهاية القرن الثامن عشر وهو نوع من الفلسفة العقلانية ،التي تهتم بالبحث وتحليل والكشف عن المقدسات والمعتقدات و ماتحتويه من ظواهر دينية وتفسيرها وحتى مقارنتها ،وحتى بالدفاع عنها وتبريرها كما فعل اللاهوتيون والمتكلمون، وهذا ما حاولت فلسفة الدين الابتعاد عنه والاهتمام فقط بالشرح والكشف .

فهي تفكير فلسفي في كل دراسات الاديان و بها يكون شرحا وتفسيرا وتحليلا وبيانا دون تبرير أو دفاع،حيث فلسفة الدين اهتمت بمعالجة اسئلة تتعلق بإمكان معرفة وجود الله ومعرفة صفاته،"فلسفة الدين ليست من فروع الالهيات أي التدوين الممنهج للعقائد الدينية ،بل هي من فروع الفلسفة،تتكفل فلسفة الدين بدراسة المصطلحات والأنظمة العقائدية ،وممارسات من قبيل :العبادة ،والتأمل والمراقبة،التي تبتني هذه الانظمة العقائدية عليها، ومنبثقة منها"[2]. كما اعتبر الرفاعي كتاب محمد اقبال تجديد التفكير الديني في الاسلام هو اول دراسة جادة في فلسفة الدين يؤلفها مسلم في العقد الثالث من القرن العشرين.

[1]_المصدر نفسه.

[2]_ عبد الجبار الرفاعي ، انقاذ النزعة الانسانية في الدين،المصدر السابق،ص41

كذلك،اعتمدت دراسة الاديان استنادا الى مفاهيم ومناهج العلوم الانسانية الغربية،وأشار الرفاعي في هذا الصدد أنه "قلما نجد تفكيرا فلسفيا في الدين والظواهر الدينية ولعل ذلك يحيل الى الموقف المتوارث المناهض للفلسفة،منذ الغزالي والاكتفاء بإضفاء مشروعية على التفكير الكلامي فقط،الذي لا يتخطى الأنساق اللاهوتية للأشعري وابن تيمية والغزالي ، وأكد الرفاعي ايضا على الجانب المزيف من البحث والتفكير الذي لا يتعدى التبرير والتسفيق على حد قوله بإستعارة المناهج ومفاهيم من معطيات العلوم اللغة والمنطق والفلسفة الغربية الراهنة ".[1]

يؤكد الرفاعي على دراسة الاديان وحتى المنهج التحديثي للتفكير الديني في الاسلام انه لن يكون إلا بالخلاص من الانساق اللاهوتية المتوارثة ،التي يجري فيها خلط وتلبيس بين الله وتصور البشر لله وبين المقدس وتصور البشر للمقدس ،وبين الدين ومعرفة البشر للدين ، نجد تأكيد الرفاعي في دراسة الدين بشقيه الفكري والروحي، "فلسفة الدين تكشف عن النظام المعرفي السائد في القرون الأولى للإسلام والذي انتج لاهوت المعتزلة و الأشاعرة والشيعة وكيف ان هذا النظام المعرفي انبثق عن العقلانية والفضاء المعرفي لعصره،فمنطق التفكير العقلاني ومناهج البحث العلمي ؛ وتلك العقلانية لم تعد معبرة عن نمط وجودنا وفهمنا للحياة والكون اليوم. ضرورة الارتقاء بين الاديان والانتقال به من الكلام المكرر الى اعتماد القيم الاخلاقية والإنسانية والبناء عليها بوصفها اسسا للبحث العلمي في دراسة الاديان والحوار بين اتباعها" [2].

ففلسفة الدين تتيح لنا قراءة تاريخنا الروحي ومعرفة كيفية انتاج المعنى في هذا التاريخ والعلاقة بين السلطة وإنتاج المعنى،تمنحنا أفقا تأويليا بديلا،يتيح لنا تجاوز الافق التأويلي التاريخي للدين ؛الذي انتجه أفق انتظار السلف ورؤيتهم الكونية ،وكينونتهم الوجودية . فدراسة الدين تأويليا متغيرة ومتجددة الفكر حيث ان التأويل لا يتخطى العصر الذي أنتجه وهكذا تتسع دائرة الكشف والفهم وأهداف الدين ،يمتد التفكير حول الاديان وتأويلها من سياق التاريخي الى عصر تأويله ولا يخرج عنه و انما يتجدد بفعل متغيرات العصر. فلسفة الدين تتيح التعرف على المنابع العميقة للدين التي يرتوي بها الظمأ الانطولوجي للروح البشرية من منظور الرفاعي .

ج/علم الكلام الجديد والنص الديني:

إعتبر عبد الجبار الرفاعي علم الكلام الجديد مشروع تجديدي ضمن فلسفة الدين؛سلسلة كتاب فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد،وسلسلة كتاب أفاق التجديد،وسلسلة كتاب تحديث التفكير الديني،التي ضمنت حوارات تجديدية وظف فيها التراث كأساس للمشروع الفكري التحديثي ولاهوت جديد،الذي إبتدأ من منظور الجديد للقرآن وفعل فيه كل المشاريع الفكرية اليسارية الإسلامية والحداثية من مشروع حسن حنفي العقيدة والثورة إلى الهرمينووطقية الشبستري الى نقد الروحي للحداثة الغربية لداريوش شايغان لعقلانية ومعنوية لمصطفى مليكيان وتأويلية عبد الكريم سروش والإسلاميات التطبيقية لأركون والإبستمولوجيا الكونية الإنسانية لأبي قاسم حاج حمد، كل هاته المشاريع وجدت في سلسلة حوارات ومقالات ضمن الكتب الخاص بالتأليف أو ضمن أعداد مجلة قضايا إسلامية التي خصها بالفلسفة الدين وعلم الكلام لأعداد كثيرة، ضمن التساؤلات الكلامية على أكثر من صعيد ،إثارتها ظاهرة الإستشراق والعلمانية

[1] _ المصدر نفسه ص 42

[2] _ عبد الجبار الرفاعي ،ايقاظ المعاني المشتركة بين الاديان،من تقديم كتاب عزار في الديانات الابراهيمية ،تاليف وليد البعاج ، المقال العدد 4130/،26،12،2017

والقومية التيار الماركسي وغيرها من المشاريع الفكرية التي ضاغطت الفكر الإسلامي وأثرت عليه،فصارت المشاريع كتحديات تلزمها الإشكاليات المطروحة على العقل الإسلامي.

فالكلام الجديد من مصطلحات القرن الأخير في الثقافة الإسلامية، وأهمية التجديد مرتبطة لغويا "لأن اللغة التقليدية القديمة لعلم الكلام لم تعد صالحة لزماننا فلا بد من الوصول للناس بلغة العصر"[1].يؤكد الرفاعي على التجديد في المباني علم الكلام المعرفية "فإنّ المتكلم إهتم سابقا بترسيم مبان خاصة في المعرفة ،تستند الى المنطق الأرسطي ،وشيء من ميراث الفلسفة اليونانية ،وجعلها ممهدة للمباحث الكلامية ،بينما إنهارت بعض تلك المباني ،حين إفتتحت الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة ثغرات كبيرة إخترقت جدار الواقعية الأرسطية وتزايد الحديث عن واقعيات معقدة ،كالواقعية التخمينية ،وتعرض المفهوم التقليدي للعقل إلى عاصفة نقدية ،إستهلها فرنسيس بيكون ،وديكارت ،وبلغت نضجها مع فيلسوف الأنوار إيمانويل كانط،وإكتست من بعده صياغات متنوعة ،بالإفادة من معطيات فلسفة العلم والتطور العميق في الفيزياء والعلوم والمعارف البشرية ،كل ذلك يدعو الى إستئناف النظر في المباني والمرتكزات الماضية لعلم الكلام لأن التجديد في المسائل والموضوع والهدف والمناهج واللغة يتطلب تجديدا في المباني"[2].

فالمقدس كما يقول الرفاعي :أنه مستمر متواصل أبدي، غير أنه ليس ساكنا أو قارا أو ثابتا، بل هو متحرك ومتغير، أنه موجود دائما، لكن أشكاله وأنماطه شديدة التنوع . وعادة ما يتعرض المقدس للتلاعب من قبل البشر، ويجري توظيفه في المعارك، ويستخدم كقناع وذريعة في الصراع الإجتماعي ويخضع لمختلف أنواع التفسير والتأويل والقراءت المنبثقة عن الفضاء البشري الحاضن له"[3] الرفاعي يعتبر علم الكلام جزء من فلسفة الدين والكلام الجديد أيضا هو جزء من فلسفة الدين بإعتباره يتناول موضوعات الدين في التجديد في مسائله وقضاياه من علم النفس الدين وعلم الإجتماع الدين وأنثروبولوجيا الدين وغيرها، فهو يهتم بإلهيات كما يهتم بالطبيعيات، فالكلام الجديد يفسر القضايا الدينية بمنهج علمي فالكلام الجديد وليد العلوم الإنسانية والفلسفة الحديثة .فمحاولة المتكلم المعاصر مقابلة المقدس بالدنيوي وإسقاطه في قراءة غير إختزالية، فالدين هو إدراة وتدبير للمقدس وقراءة المقدس هي واقعية الدين في تحصيل المعرفة علاقة الانسان بالمقدس بسياق علمي واقعي .

كما عبر عنها الرفاعي في كتابه الظما الانطولوجي الذي يقصد به الظمأ للمقدس[4] ،فإن روح الدين، باطن الدين، جوهر الدين، يتمحور في إرواء ظمأ الشخص البشري للمقدس، وذلك ما يمنح حياته ووجوده معنى، حين يرتوي الظمأ الأنطولوجي للشخص البشري، يكف الدين عن أن يكون أداة للصراع على الثروة والقوة والسلطة، وتتكرس وقتئذ الحياة الروحية الأخلاقية للشخص البشري"[5]،وهو مرام المتكلم المعاصر في التجديد أنه يأخذ الكلام نحو الدنيوي نحو تقابل

---

[1] _أحمد محمد سالم،تجديد علم الكلام قراءة في فكر النورسي، دون ط وسنة،ص155

[2] _ عبد الجبار الرفاعي،انقاذ النزعة الانسانية في الدين،المصدر السابق،ص.44

[3] _ عبد الجبار الرفاعي ،الاشكاليات الراهنة للتفكير الديني ،قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 45_46،ص9.

[4] _الظما الانطولوجي للمقدس،يعني افتقار الشخص البشري الى ما يثري وجوده ويكرس كينونته ويمنحه وقودا لحياته،حيث تفتقر حياته لوقود يحركها ،ويشبع حاجته لمعرفة معنى لحياته ،ويكشف له عن سر الحياةنويعزز قدراته بالمستوى الذي يجعله قادرا على التغلب على مشكلةة الوجود البشري في هذا العالم .أنظر الدين والظما الانطولوجي لعبد الجبار الرفاعي مركز دراسات فلسفة الدين،ط1 بغداد،2016.،ص154.

[5] _ عبد الجبار الرفاعي ،الدين والظما الانطولوجي، المصدر نفسه،ص168

المقدس الديني بالإنسان الدنيوي وإرساء النزعة الإنسانية في قراءة النص للإنتقال به من الدنيوي إلى الديني. فيعتبر بذلك المقدس فضاءا مفتوح وليس مغلقا،" و مدراته غير متناهية الأبعاد، فهي تتنوّع بتنوع الثقافات والأزمنة ،وتتعدد بتعدد الجغرافيا البشرية، فكل شي سواء اكان إنسانا، أو كائنا حيا آخر،أو زمانا،أو مكانا، يمكن أن يغذو مقدسا في إطار مشروطية معينة من خلال إنثروبولوجيا الدين، وعلم إجتماع الدين، وعلم نفس الدين، وعلوم الدلالة والهرمينوطيقا، بوسعنا أن نتعرف على تجليات المقدس وتعبيراته وطبقاته ونفوذه البشرية، وإحدى البنى العميقة في الوعي واللاوعي البشرين فحتى المجتمعات شديدة العلمنة لا يمكن أن تغادر المقدّس، لأنه موجود في بنيتها العميقة، ونجد دائما تعبيراته في حياتها"[1] ،فالدين نابع من تمثلاته المجتمعية ورموزه المترسبة في البنية العميقة للمجتمع ،تظهر كل تجلياته في الحياة الاجتماعية والمدنية ،فالدين ليس غائبا ولا يختفي وانما مجال حضوره يقتصر على مجال حضور التفكير الانساني في الحياة. فالدين ظاهرة مستمرة ومتواصلة وحاجة بشرية .

د/ التعددية الدينية والكلام الجديد:

التعددية الدينية والكلام الجديد في المشروع التجديدي للفكر الاسلامي، يعد الحوار منهجا انسانيا انطولوجيا ،قبل ان يكون فكريا وفلسفيا ومعرفيا ؛رافق الفكر البشري في كل مراحل تشكله وتطوره ؛وهو يعني بتحكيم العقل في المشكلات التي تنشأ بين المجموعات البشرية كما يعترف بوجود الآخر ولا يعمد الى الغائه ،لأنه لا يقوم إلا بين طرفين "فمنهج الحوار استخدم من قبل الفلاسفة منذ القدم وكان سقراط الابرز في هذا المجال ؛اذ كان يعمل على توليد الحقيقة من خلال النقاش .

فالحديث عن الحوار الديني وتعايش الثقافات ضمن مشروع الرفاعي الفكري المعرفي كان من خلال تأسيس لمشروع انساني فكري اولا وثاني من خلال التجديد لقضايا الفكر ضمن مشاريع التحديث الفكر العربي والإسلامي ،ومن مواضيع التجديد ؛اخد علم الكلام الجديد الحيز الاكبر من التجديد من حيث المبدأ ومنهج والقضايا؛ كما اقر بذلك الدكتور حس حنفي ":علم الكلام الجديد ليس خطابا عن الله ((بل خطاب في الله)) مشتق من كلام المتكلم، وليس من كلام الله،ومنهجه ليس الدفاع عن العقيدة كما فعل القدماء ؛بل تحليل القضايا كما يفعل المحدثون، وتحليل الواقع من اجل صياغته في قضايا ."[2] وغايته ليس المفاز في الاخرة ؛بل الصلاح في الدنيا، والقضاء على اغتراب الفرد والمجتمع،والعودة الى الواقع ؛بدلا من الخروج منه.

فالتجديد، لا يعد إلا اضافة مسائل مستحدث الى علم الكلام التقليدي ؛"ويكون هدا التجديد ضمن اهداف العلم ومناهجه ومواضيعه وقبلياته وهندسة نظامه المعرفي .فغاية المتكلم وبتعبير أدق المتألة في الكلام الجديد هو اعطاء نظام ونسق متماسك لمجموعة تعاليم النصوص المقدسة والدين والمذهب الذي ينتمي اليه" [3]؛فهو تنظيم القضايا الديني والمذهبية باختلافها مما يؤدي لتعايشها وتبني الحوار المعرفي بينها داخل منظومة معرفية متناسقة . ويعمد الى شرح

[1] _ عبد الجبار الرفاعي، الدين والنزعة الإنسانية، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد ،ط3،2018،ص46

[2] _ عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مدخل لدراسة اللاهوت الجديد، وجدل العلم، موسوعة الدين_3،مركز دراسات فلسفة الدين للنشر،بغداد،ط1،2016،ص464

[3] _ المصدر نفسه ص 465

المفاهيم المتعلقة بكل ديانة وتبيان القصد منها واستخراج البراهين والأدلة التي تقوم عليها قضايا كل دين ،فيعتبر دفاع الكلام الجديد برغماتيا بامتياز فهو واقعي .

اما مصطلح الهندسة المعرفية التي رافقت مصطلح علم الكلام الجديد او التجديد بعلم الكلام والمقصود بها مكانة علم الكلام الجديد بين العلوم و ما هو الفرق بين هاته المكانة ومكانة الكلام القديم بين العلوم القديمة وهو جزء لا يتجزأ من علم الدين او مقارنة الاديان التي تعني بعلم نفس الدين وعلم الاجتماع الدين وتاريخ الاديان وعلم الاديان المقارن وانثروبولوجيا الدين(علم انسان الدين) وأخيرا فلسفة الدين فهاته ستة مجالات تعتبر اجزاء منتمية لحقل التجديد علم الكلام ،فهندسته المعرفية هي كونه بين العلوم التي تدرس الدين وقضاياه .

تبعا لذلك، التعايش الديني وقبول الآخر انسانيا قبل ا يكون عقائديا ينبني على اساس ومكانة التسامح في الحضارة الاسلامية تؤكد على التعايش ولا تحكم بالإعدام على الثقافات الاخرى والحوار هو اقرار الاسلام بتعدد العقائد اقرار بمشيئته تعالى ": ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين" هود 118.[1]

فحاجة التسامح تتحقق بحاجة المجتمع لثقافة جديدة اساسها القبول الاخر المختلف التعايش معه على اساس حضاري وقيمي ،فالتعددية الدينية اساسها التنوع الفهم الديني الذي ينتجه النص بكل اختلافه واختلاف عقائده. فالحوار بين الاديان التي تهتم بالتسامح والتعايش في ظاهرة حدوث ازمات التدين ،يعتبر الرفاعي الاديان منزهة عن كل عنف وصراع في الاصل .فدراسة الاديان ومقارنتها هي المعيار الحقيقي لاختبار وعود الاديان وادعاءات اتباعها ولا يتحقق ذلك إلا بالعودة لنصوصها المقدسة. وضرورة الايمان المحرر الذي جعل منه الرفاعي نمط حضور ل الاله الروحي في قلب الانسان وضميره وحياته، ليصبح الايمان في كل الاديان المقدسة ايمان سلاما والسلام ايمانا ،والحب دينا والدين حبا والجمال تدينا والتدين جمالا.

ه/أنسنة الايمانيات وسؤال التعايش الديني:

البحث على فهم الحاجة الوجودية للإنسان بإعتباره الكائن الوحيد الذي يبحث عن قيمة وجوده الخاص اتجاه الطبيعة كيفيا وكميا ،فهذه الحاجة تلازم حياته الفكرية والاجتماعية تتمثل من ناحية من خلال فقره الوجودي كقيمة مشتركة انسانيا وكخلاص لذاته من حيث انها تبحث عن كينونتها المختفية ،فالفشل في اشباع الحاجة الوجودية من حيث القيمة ومن حيث التواجد انطولوجيا هو فهم ابدي يتوالد من افتقار الوجودي المزمن الذي يعيشه الانسان وهو في غربة عن ذاته وحياته،هنا يطرح الجانب الديني ورؤية الله ومكانتها ليتحكم بالقلق الوجودي للعقل الانساني ،فمن منظور الرفاعي ومن خلال ثالوث المعرفي التفكيري لمشروع التجديد الذي اتى ضمن مؤلفاته الثلاثة التي كانت عناوينها مبتدئة بالدين (الدين والظمأ الانطولوجي،الدين والنزعة الانسانية،الدين والاغتراب الميتافزيقي)،فالاغتراب الذي"يتفجر احيانا بأقسى انواع القلق وهو القلق الوجودي .وهذا ضرب من الاغتراب يختلف عن انواع اخرى تحدث عنها فلاسفة وعلماء إجتماع "[2]، فالدين يعد منبعا لإشباع الحاجة الوجودية للإنسان اد يقوده الى الوعي بحضوره ضمن العالم .

[1] _مجموعة الاكاديمين ،تحت اشراف عامر عبد زيد الوائلي، التعددية الدينية وآاليات الحوار،ابن النديم للنشر ،الجزائر،ط2016،1

[2] _ عبد الجبار الرفاعي ،الدين والاغتراب الميتافزيقي، مركز دراسات فلسفة الدين،ط1،بغداد،2018،ص06.

كما يعد الدين ظاهرة مركبة ومتنوعة ابعادها متصلة بكينونة الكائن البشري، فالدين لا يختزل في بعد كشكل يفسر حقيقة الانسان وماهيته وحتى حدوده،فالدين من"جهة فهم لما هو الإله، ومحاولة تأويل وتفسير لحقيقة الإلهي، وما يتصف به من صفات لا تكرر ما هو بشري، ونمط الصلة الأنطولوجية للبشري بالإله، وكيفية تمثل البشري للإلهي، وحضور المطلق الكامل الغني-الذي لا يحدّه شيء، ولايشبهه شيء، ولاينقصه شيء، ولا يفتقر لشيء-في وجود وحياة الكائن البشري،هذا الكائن الفقير المحدود غير الكامل بطبيعته"[1]،فغاية الدين تأمين التوازن بين الجانب العقلي والروحي-هنا تتجلى تمثلات الأرضية للدين وعلاقتها بمختلف الأنماط الاجتماع البشري-فحضور الدين في المجتمع يتولد عنه فاعلية الجوانية للدين وارسائها على كينونة الانسان وذاته الوجودي.

الفعل الانساني الذي يحقق الانسانية الحقة ايضا وجد في الكلام القديم باسم الكسب اي ان الفعل الانساني هو اصلا مخلوق لله ولكنه مكتسب للانسان ،وبهذا المعنى الذي يكون الانسان فيه مكتسبا للفعل يمكن ان يسمى على ذلك فاعلا ،واذن فان فعل انما يصدر عن فاعلين :الله الخالق والانسان الكاسب"[2]هذا ما تم تقديمه من حيث فكرة ارتباط الانسانية بالقدرة الالهية وهو ماهيه الكلام القديم في وصف الفعل الانساني بانه قدرة على الاكتساب ،وتظهر جليا المفارقة في مفهوم الانسانية بين الكلام القديم والجديد من حيث انتساب القدرة الارادة الحرة وحتى الافعال المتوالدة ومصدرا وحتى في حقيقتها الانطولوجية فمع الكلام القديم يسمى الانسان فاعلا وهو ليس بفاعل على وجه الحقيقة وتسقط عنه صفة الاكتساب في حالة الافعال المتوالدة اما في الكلام الجديد فيرتبط الانسانية بالإرادة الحرة كليا وبالقيم الايمانية وضرورة الفعل الحر من افعال الانسانية الارادية ،فالإنسانية تعد ظاهرة خاصة بالكينونة وعلاقتها بالجانب الروحي متجها نحو الحقيقة .

القلق الوجودي الذي يجتاح الذات الانسانية في حالة إفتقار تلك الكينونة للجانب الروحي مما يجعل العقول في بحث مستمر عن الحقيقة الوجودية سواء للكينونة او لعالم ميتافزيقي كالطبيعة او معارف، فالحياة الروحية والاخلاقية للإنسان متعلقة بشكل ما بما يؤمن الانسان وحتى في عدم ايمانه هناك ايمان عميق باللافكرة اللامعنى اللاأدرية والتي تشكل معنى لكينونة جوانية عبثية لا حقيقة تتجلى منها ولا صورة للذات تعبر عن الحق فيكون بذلك داخل الانسان عالم جواني يعرف بالخواء دون حق.

ففي الاخير نعتبر ان الدين يرسم طريق الحق كما يقول الرفاعي عن الايمان بأن "لا طريق للحق الا الحق ،الحق هو الطريق. لا طريق للقلب الا القلب، القلب هو الطريق. لا طريق للإيمان الا الايمان، الايمان هو الطريق"[3]،فالأديان في اطارها التاريخي البشري تسيطر على روح الانسان وحتى قيمه واحيانا مبادئه من خلال التمثلات البشرية السلوكية فيخرج بذلك من ماهو بشري ارضي الى مقدس لابشري، فالواقع الميثولوجي يتحكم بالواقع كون ان الحقيقة اختلطت فيه بالمتخيل وأصبح حضوره وهم وعالم عدمي، يتمثل في الدين بشكل عام .

سؤال الالهي اليوم في اطار الوجودي الانساني والتجديد في فهم المقدس وانتاج معنى كسؤال المصير في علم الكلام القديم تتشابه المعارف وتختلف المسميات فالقيم الروحية ليست الاخلاقية وانما هي كينونة ابدية متعلقة بالذات

[1] _ عبد الجبار الرفاعي،الدين والظمأ الانطولوجي،مركز دراسات فلسفة الدين، ط3،بغداد،2018ص307.

[2] _ هاري ولفسون،فلسفة المتكلمين،ترجمة مصفى لبيب عبد الغني ،المجلد2،المجلس الاعلى للثقافة ،ط2005،1،ص912.

[3] _ عبد الجبار الرفاعي ،الدين والظمأ الانطولوجي ،ط3 المصدر السابق،ص309

الانسانية ومانتج عنها بمختلفه؛ يعد قيميا وأخلاقيا لكل كائن بشري يصنفه ضمن الأخلاقيات والمبادئ وبعدها تنتقل الى مسمى المقدسات او الطابوهات وتعترف بها بعد ذلك بدوغمائية مسيجة بالايمان،"سؤال الله هو سؤال الدين وتموقع الله والانسان والعالم في هذا السؤال فتحرير العقل نحو طريق الحق يتطلب" تحرير صورة الله التي تبدأ بتحرير الانسان .تمجيد الله وحمده والثناء عليه لا يساوي تبخيس مكانة الانسان ،والحط من كرامته واهانته.مقاصد دين الله تنشد تحرير الانسان من كافة عبودياته القاتلة .اسقط الانسان عبودياته على صورة الله كي يخلع مشروعية مقدسة على تسلطه واستبداده وعدوانه وعبودياته في الارض[1]"؛ فالدين صورة الله وهي صورة محبة والرحمة الالهية الماطرة بالسكينة ،فماهو خارج عنها ليس الى وصيا على البشرية من أناس اعتبروا انفسهم اوصياء ينتهكون ويستبيحون خصوصية الانسان.

تعد الحاجة الوجودية للدين ومعرفة الفصل في التساؤلات التي يطرحها العقل بإستمرار حول الانسان وعلاقته بالدين سواء كان تديينا دينيوي او ايمان روحي وصورة الخلاص التي تطرح على شكل اين طريق الحق والنجاة،كلها تساؤلات ترسم خارطة ضياع بشرية وتصور تشكل الاغتراب نحو الدين نحو مصطلح القدسية ،لهذا يبحث مشروع التجديد الفكر الديني عامة وعلم الكلام خاصة في حاجة الانسان الى الدين كحاجة انطولوجية بصفته موجودا يشترك مع كل موجود في الوجود وكينونته.

قائمة المصادر والمراجع:

1_عبد الجبار الرفاعي،الدين والظمأ الأنطولوجي،مركز دراسات فلسفة الدين، ط1بغداد،2016.

2_ــــــــــ،الدين والظمأ الانطولوجي، مركز دراسات فلسفة الدين،ط3،بغداد ،2018

3ــــــــــ،الدين والنزعة الإنسانية،مركز دراسات فلسفة الدين،ط3بغداد ،2018،

4_ ــــــــــ ،الدين والاغتراب الميتافزيقي،مركز دراسات فلسفة الدين ط1،بغداد ،2018،.

5 ــــــــــ ، انقاذ النزعة الانسانية في الدين،مركز دراسات فلسفة الدين ط2،بغداد ، 2013

6 ــــــــــ ،ايقاظ المعاني المشتركة بين الاديان،من تقديم كتاب عزار في الديانات الابراهيمية ،تاليف وليد البعاج ، المقال العدد 4130،/2017،12،26

7 ــــــــــ ،الاشكاليات الراهنة للتفكير الديني ،قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 45_46

8 ــــــــــ ، مقال بعنوان الحاجة لتدريس مقارنة الاديان، مؤسسة المثقف العربي ،العدد 4116/،2017،12،12

9 ــــــــــ ، علم الكلام الجديد،مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم، موسوعة الدين_3،مركز دراسات فلسفة الدين للنشر،ط1،بغداد،2016

10_أحمد محمد سالم،تجديد علم الكلام قراءة في فكر النورسي.دون طبعة وسنة .

[1] _ المصدر نفسه،ص.312

11_مجموعة الاكاديمين ،تحت اشراف عامر عبد زيد الوائلي، التعددية الدينية وآاليات الحوار،ابن النديم للنشر ط1،الجزائر ،2016

12_ هاري ولفسون،فلسفة المتكلمين،ترجمة مصفى لبيب عبد الغني ،المجلد2،المجلس الاعلى للثقافة ،ط1 ،القاهرة،2005